انتشار فكر الخوارج والإرهابيين في الدول الإسلامية ساعد اليهود وأذنابهم من النصارى على التوسع والضغط باسم محاربة الإرهاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

إن العالَمَ الحديث يعاني من موجات الإرهاب المنظم(1)، والـــمُـــسند من جهات غربية، على قذف البشرية في أتون المصائب والشدّة، وعلى استنزاف قوى الدول الإسلامية الصاعدة، كالجزائر ومصر والمملكة العربية السعودية، فلا يكاد يمر يوم دون أن تُسجل فيه عمليةٌ إرهابيةٌ يتردد صداها عبر أجهزة الإعلام المختلفة، حتى أصبح للعمليات الإرهابية أثرٌ بالغ في توجيه دفة كثير من الدول، وصار لدعاة الإرهاب ومن يمدهم من وراء البحر سلطةٌ على تغيير موازن الاقتصاد، وإحداث تغييرات جوهرية في بعض أنظمة لكثير من الدول المستهدفة، وقد استغل دعاة الضلالة ممن تغذى من عقائد الفرق الضالة عبر التاريخ الإسلامي؛ كالخوارج والرافضة وضعَ الأمةِ المؤلم، وكوّنوا أحزابا وجماعاتٍ لمناهضة دولهم المسلمة باسم الإسلام واسترجاع الخلافة الضائعة؛ خدمة لليهود والدول الصليبية، فوظف دعاة الضلال من الخوارج والإرهابيين غربة الإسلام في بعض ديار المسلمين، واستغلوا الأسلوب الخاطئ من بعض الأنظمة الإسلامية هداهم الله؛ من تعذيبٍ، وسجنٍ، وقتلٍ، وتشريدٍ، واعتقال بالشبه، في علاج اعوجاج الفرق المنحرفة، وتطهير المجتمعات من عفن الفرق الضالة، وأوقف رؤوسُ الخوارج الناسَ عبر خطبهم النارية، وأشرطتهم الملتهبة على تضييق الأنظمة الإسلامية على علماء الأمة وجملة من الناس، وفي الوقت نفسه بينوا لهم أن المجال قد فتح للاتجاه العلماني، وأن العنان قد أُطلق لهم في شتى مؤسسات الأمة؛ من جامعاتٍ ومراكز ثقافية، وأنظمة شبابية، ومعلوم أن وضعا كهذا يدفع بكثير من الشباب المتحمس، والجاهل بمنهج السلف الصالح في التعامل مع جور السلطان إلى العنف والسرية في مواجه الخطر الذي تصوّره، أو الذي أُوقف عليه، أضف إلى ما ذكرت الانهيار

الاقتصادي الذي تشهده بعض الدول الإسلامية، والظلم في توزيع ثروات الأمة، والبطالة التي خيم شبحُها على كثير من البيوت، وظهور الطبقية، والتمييز بين أفراد الأمة في المعاملة، فالشاب الملتحي يرى نفسه منبوذا بالأبواب، والمرأة المتحجبة تجد نفسها تتنفس من ثقب إبرة، وفي المقابل يرون شبابا واضعين القراط والشُّنوف في آذانهم، ويرتدون ألبسة الهنود الحمر، ونساء تسعون بالمائة من أجسادهن عرٍ، يقدمون ويبجلون ويوصفون برواد الحضارة والتقدم، ويمنحون الجوائز في المناسبات.!

إن العوامل(2) كالتي ذكرت قد استغلها رؤوس الضلال من دعاة الخروج والعصيان المدني، وهيّجوا بها أبناء الأمة، ودفعوهم إلى الانتقام واسترجاع الحقوق الضائعة، وغرروا بهم، وأشعروهم أنهم من المجاهدين، وأنهم ظاهرون على الطواغيت وأعوانهم لا محالة، وحتى يعطيَ رؤوسُ الضلال للمغرر بهم حجج القتل والبتر وخلع الرؤوس، أفهموهم أن القائمين على النظام في الدول الإسلامية كفارٌ مرتدون، وخارجون عن الشريعة الربانية، وأنهم عملاء لدولة صهيون، وأنّ كل من ساعدهم أو كان منضويا في سلكم فهو منهم، ودواؤه القتل والإبادة بكل بسالة وضراوة، والله المستعان، وحقنوا الشباب المتحمس أنّ عليهم واجبا لا بد أن يقوموا به وفاء لعقيدتهم، وهو إقامة دولة الإسلام التي طمس معالمها مصطفى أتاترك، وفي الوقت نفسه يحسّسونهم أنهم ممنوعون من إظهار هذا الواجب، فيُقعُون الشبابَ في صراع دائم، وتمزق قائم، بين دافع العقيدة، ومانع الواقع، وحينها يشعرُ الشبابُ المغرر بهم أنهم عاجزون عن تلبية نداء العقيدة، وهذه الدوامة التي زُجّ إليها شباب الأمة تؤول بهم إلى انفصال بين الإرادة والعلم والواقع، وآنذاك يضحى أبناء الأمة عجينة في أيدي دعاة الدمار والشبه، وتجار الذمم، والمقامرة بمصير الأمة، وحتى يُفضي زعماء الخروج، وصناع الإرهاب على أفكارهم الصبغة الشرعية يهرعون إلى الاستدلال بالمتشابه من القرآن، وإسقاط آيات نزلت في الكفار على المؤمنين كاستدلالهم بقوله تعالى إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وقوله تعالى :وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ، وغيرها من آي القرآن الكريم، والاستئناس بفتاوى المرضى نفسيا والمشكوك في عدالتهم، ممن يقيم بديار الصلبان.

إذا: من هم الخوارج الذين انتشر فكرهم في صفوف الأمة الإسلامية واغتر بهم الأحداث

من أبنائها، وكانوا سببا في فشوّ الخوف، وانتشار الشبه، وزعزعة الأمن في الأوطان، وصاروا معاول هدم في أيدي اليهود والنصارى لضرب مفاصل الدول الصاعدة؟.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: (كلّ من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان) 3

وزاد بعض العلماء قيدا آخر في تعريف الخوارج فقال: (هم الذين يكفّرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم) 4

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله بعد ما ذكر النصوص النبوية الواردة في الخوارج، والتي سأذكرها فيما بعد: (فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى، وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السّنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرا، ثم يرتبون على الكفر أحكاما ابتدعوها، فهذه ثلاث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام، حتى مرقوا منه كما مرق السّهم من الرمية) 5

وقال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في الشريعة (325/1): (لم يختلف العلماء قديما وحديثا أنّ الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله ، وإن صلّوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويُظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوَون، يُموِّهون على المسلمين، وقد حذّر الله تعالى منهم، وحذّر النبي، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشُّراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين.

إن الخروج على أئمة الجور شرّ كله، وأنّه مهما سعى المحرفون للنصوص إلى تغير اسمه إلى أسماء أخرى كالجهاد، واسترجاع الحقوق المهضومة، وتطهير الأرض من عملاء أمريكا، فإن صنعتهم تبقى مميزة وبارزة لكل عاقل من تكفير للمسلمين، وسفك لدماء الأبرياء، وبثّ للفتن في صفوف أبناء الأمة، واستجلاب للأعداء إلى ديارنا، وبثٍ لبوادر الحروب

الأهلية، وغيرها من الصواعق التي حذّر منها علماء الأمة المخلصين.
وأخرج الخلال السنة(6)، قال: أخبرني محمد بن أبي هارون، وحمد بن جعفر؛ أنّ أبا الحارث حدثهم قال :سألت أبا عبد الله في أمر كان ببغداد، وهمّ قومٌ بالخروج فقلت: يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟ فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول: (سبحان الله! الدماء الدماء، لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه يعني: أيام الفتنة، قلت: والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال :وإن كان فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك)، ورأيته ينكر الخروج على الأئمة، وقال: (الدماء؛ لا أرى ذلك ولا آمر به.
وقال المروذي كما في السنة للخلال (ص131): (سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء، وينكر الخروج إنكارا شديدا.
وقال الخلال: أ خبرني حربُ بن إسماعيل الكرماني أن أبا عبد الله قال: (الخوارج قوم سوء، لا أعلم في الأرض قوما شرا منهم، وقال:صحّ الحديث فيهم عن النبي ومن عشرة أوجه)7.
حفظ الله الجزائر وباقي ديار الإسلام من شر دعاة الإرهاب وأعوانهم
يتبع إن شاء الله........
الهامش:
(1)اختلفت كلمة الباحثين والدارسين في تحديد معنى الإرهاب، وأعجمته بعض الدول الكبرى قصدا أو عجزا عن تحديد معناه، وأقرب عبارة وجدتها تطابق معنى الإرهاب على مصطلح العصر الحديث ما دونه الدكتور أحمد جلال عز الدين في (الإرهاب والعنف السياسي) (ص49) وينظر معه كتاب الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق (ص135): (عنف منظم ومتصل بقصد خلق حالة من التهديد العام الموجه إلى دولة، أو جماعة سياسية، والذي ترتكبه جماعة منظمة بقصد أهداف سياسية)، وقد أسهبت في كتابي (الإذاعةُ في أنّ التنطعَ والغلوَ والخروجَ على أئمة الجور محرمٌ في ميزان أهل السُّنّة والجماعة) في ذكر تعريفات المعاصرين لمعنى الإرهاب.

(2)إن كلّ عاقل يدرك أن الظلم والجور وغيرها من المخالفات الشرعية التي تصدر من بعض الحكّام وأعوانهم حرام في ميزان الله تعالى، وأن فشوّ المعاصي والكبائر في المجتمع المسلم منكر جليّ، لا يختلف في هذا مسلمان، ولكن الذي غاب عن قلوب المغرر بهم المنهج الذي يتعبدون الله به في مثل هذه الحالة؟ فهل يسلكون منهج أهل الحديث والأثر، وهو عبادة الله بالصبر على جور السلطان المسلم، ودعوة الخلق بالعلم والحلم حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، أم يلجئون إلى السيف مقتفين سبيل الخوارج كلاب النار، في زرع الفتنة والضغينة في قلوب الناس؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله: (وأصل ذلك-يعني الصبر- العلم، فإنه لا يُعلم العدلُ والظلمُ إلا بالعلم، فصار الدين كلُّه العلم والعدل، وضد ذلك الظلم والجهل، قال تعالى: وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، ولما كان ظلوما جهولا، وذلك يقع من الرعاة تارة، ومن الرعية تارة، ومن غيرهم تارة، كان العلم والعدل المأمور به: الصبر على ظلم الأئمة وجورهم، كما هو من أصول أهل السنة والجماعة) مجموع الفتاوى 179/28.

والأدلة المحكمة من الكتاب والسنة جاءت جلية في منع قتل المسلم لأخيه المسلم، وواضحةً في الصّبر على جور السلطان، قال تعالى: وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً.

وقال صلى الله عليه وسلم: (تسمع وتُطيع للأمير، وإن ضُرِبَ ظهرُك وأُخذ مالُك، فاسمع وأطع) رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وقال النبي: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه أنه سأل رسول الله قال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيسٍ، فقال رسول الله : (اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم) رواه مسلم في صحيحه.

والصبر الذي نطالب به أبناء الأمة التحلي به حتى لا يقعوا في براثين الخوارج يحتاج إلى

غذاء يكسر مرارة العلل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (154/28): (..فإن النفوس لا تصبر على المرّ إلا بنوع من الحلو؛ لا يمكن غير ذلك)، ثم ذكر شيخ الإسلام الحلو الذي نكسر به المر: (..ولهذا أمر الله تعالى بتأليف القلوب، حتى جعل للمؤلفة قلوبهم نصيبا في الصدقات، وقال تعالى لنبيه خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وقال تعالى :وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، فلا بد أن يصبر وأن يرحم، وهذا هو الشجاعة والكرم.

قلت: فإن اليقين بشرع الله ونصوصه، والتحلي بالعفو والرحمة والدعوة إلى الصلح غذاء للصبر وقوت له، وجزاء ذلك الإمامة في الدين، والهداية في الأمر قال تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (444/4) بعد ما ذكر الحوادث التي وقعت بين علي ومعاوية رضي الله عنها:(ولهذا كان مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح برّ، أو يستراح من فاجر...

(3) الملل والنحل (114/1).

(4) ينظر كتاب الخوارج أوّل الفرق في تاريخ الإسلام (ص:28)، لصاحبه ناصر العقل.

(5) مجموع الفتاوى (497/28).

(1/132) (6)وإسناده صحيح.

(7) صحيح أخرجه الخلال في السنة 145/1 برقم110.

وكتبه أبو عبد الباري عبد الحميد أحمد العربي الجزائري